(١٠٩) سورة الكافرون

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها ست نزلت بعد سورة الماعون وهى سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال فقد دعا المشركون رسول الله ﷺ إلى المهادنة فطلبوا منه أن يعبدوا آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة فنزلت السورة تقطع أطماع الكافرين وتفصل فى النزاع بين الفريقين أهل الإيمان وعبادة الأوثان وترد على الكافرين فكرتهم السخيفة فى الحال والاستقبال.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾

التفسير:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعونك إلى عبادة الأصنام والأوثان والأحجار ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ أى لا أعبد هذه الأصنام والأوثان التى تعبدونها، فأنا برئ من آلهتكم التى لا تضر ولا تنفع ولا تغنى عن عبادها شيئا قال المفسرون: إن قريشا طلبت من الرسول ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فقال؛ معاذ الله أن نشرك بالله شيئا فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا تصدقك ويعبدوا إلهك، فنزلت السورة فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه[1] وآذوه وآذوا أصحابه وفى قوله "قل" دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله وخطابه ﷺ بلفظ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ونسبهم إلى

---

(١) روح المعانى للألوسى ٣٠/٢٥٠ وتفسير القرطبى ٢٠/٢٢٥.

الكفر وهو يعلم أنهم يغضبون من أن ينسبوا إلى ذلك.. دليل على أنه من عند الله، فهو لا يبالى بهم ولا بطواغيتهم ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أى ولا أنتم يا معشر المشركين عابدون إلهى الحق الذى أعبده وهو الله وحده فأنا أعبد الإله الحق وهو الله رب العالمين، وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان وشتان بين عبادة الرحمن، وعبادة الهوى والأوثان ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ تأكيد لما سبق من البراءة من عبادة الأحجار وقطع لأطماع الكفار كأنه قال: لا أعبد هذه الأوثان فى الحال ولا فى الاستقبال، فأنا لا أعبد ما تعبدونه أبدا ما عشت، لا أعبد أصنامكم الآن ولا فيما يستقبل من الزمان ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أى ولستم أنتم فى المستقبل بعابدين إلهى الحق الذى أعبده ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ أى لكم شرككم ولى توحيدى، وهذا غاية فى التبرؤ من عبادة الكفار والتأكيد على عبادة الواحد القهار قال المفسرون: معنى الجملتين الأولتين: الاختلاف التام فى المعبود فإله المشركين الأوثان، وإله محمد الرحمن الرحيم ومعنى الجملتين الأخيرتين الاختلاف التام فى العبادة.

الإعراب:

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ	قل فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، يا حرف نداء أى منادى نكرة مقصودة مبنى على الضم فى محل نصب، ها للتنبيه الكافرون بدل من أى أو نعت مرفوع بالواو وجملة النداء فى محل نصب مقول القول.
لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ	لا نافية، أعبد مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره أنا ما اسم موصول بمعنى الذى فى محل نصب مفعول به، تعبدون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويجوز أن تكون ما مصدرية فتكون مؤولة مع ما بعدها بمصدر فى محل نصب مفعول مطلق.
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ	الجملة معطوفة على ما قبلها، الواو عاطفة لا نافية أنتم ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ، عابدون خبر مرفوع بالواو، ما اسم موصول

	بمعنى الذى الذى فى محل نصب مفعول به لاسم الفاعل، اعبد مضارع مرفوع وفاعله مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها، وإن كانت مصدرية فتكون مؤوله مع ما بعدها بمصدر فى محل نصب مفعول مطلق.
وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ	الجملة معطوفة على ما قبلها وبنفس الإعراب تقريبا وللنحويين أراء فيها: **أولا** أنها كلها بمعنى الذى **ثانيا** أنها كلها مصدرية **ثالثا** الأوليان بمعنى الذى والأخريان مصدريتان[1].
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ	سبق إعرابها.
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ	لكم خبر مقدم فى محل رفع، دينكم مبتدأ مؤخر مرفوع ولى دين عطف على ما قبلها.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الخطاب بالوصف ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ للتوبيخ والتشنيع لكفار مكة.
- الطباق بالسلب بين ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ فالأول نفى والثانى إثبات.
- المقابلة بين ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ و ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ أى فى الحال والمقابله بين ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ و ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ فى الاستقبال وفى هذه المقابلة نفى لعبادة الأصنام فى الحال والاستقبال وهو من المحسنات البديعية.
- السجع الجميل غير المتكلف فى السورة كلها.

❖ ❖ ❖

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش ص ٦٠١.